الصوفية الحقة
وأوصافها من القرآن

للاستاذ أبو بكر ذكرى

أستاذ الأخلاق بكلية أصول الدين

منذ سنين لا أحصى عدها ، بالضبط ، وأنا كلما رحت أتلو كتاب الله ، لا أكاد أنتهى من تلاوتى الا وقد استرعى نظرى وحرك خواطرى آيات خاصة كأنما هى أنغام تأتى من عالم آخر وراء هذا العالم ٠

آيات ، وكل آيات الكتاب العظيم عظة وبلاغة ، لها معانيها الخاصة ونغماتها السماوية ، وتأثيرها الذى لا يقاوم ٠٠ ولا أذكر الآن جديدا اذا قلت : اننى كنت كلما مر بى آية من هذه الآيات الكريمة لحظت فيها روح التصوف الاسلامى الحق ، وسمات المتصوفة الحقيقيين من عباد الله الذين أخلصوا لله نواياهم ، ووجهوا اليه وجوههم ، وجعلوا أنواره مقابسهم ، وذاته العلية قبلتهم وغايتهم ، وسبيله المستقيم طريقهم ومنتحاهم ٠

تأملوا معى الآن كما تأملت ، منذ أزمان ، آيات « فاتحة الكتاب » تجدوا معى أنه ما من آية منها الا وهى سمة من سمات العباد الصالحين المتجردين للطاعة العاملين بكل ما فيهم من حس وقلب ومشاعر ، على أن يكون الله سبحانه كل غايتهم وكلهم له ومنه واليه :

« الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ٠

وفى الآية الثانية من سورة « البقرة » والآيتين الكريمتين بعدها :

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » ٠

يا لها من سمات وصفات ، من حازها فقد حاز الخير كله ، وكان حقا من المفلحين فى الدنيا والآخرة ٠

ولنسمع الى القرآن الكريم يصفهم بالصبر والخشوع وتمام الرضا وكمال الايمان فى الآيات الآتية من سورة البقرة أيضا :

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات، وبشر الصابرين ، الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » ٠

وفى نفس السورة الكريمة وصف القرآن فقراءهم وصفا بلغ حد الروعة وارتفعت بلاغته فوق كل وصف :

« للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا ،وما تنفقوا من خير فان الله به عليم » ٠

ووصف أغنياءهم بهذا الوصف الرائع فى الآية التالية لها ، فقال جل شأنه :

« الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ٠

ولنستمع الى بعض صفاتهم الكريمة فى سورة (ال عمران » :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم ، أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ٠٠ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

ومن السورة نفسها فلنسمع الى الآيات الاربع الكريمة :

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ٠٠ الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ٠٠ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ٠٠ اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين »

ثم فى نفس السورة الكريمة فلنتامل فى هذه الايات البينات :

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ٠٠ » ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ٠٠ ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد٠٠ فاستجاب لهم ربهم أنى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا

من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب »

وفى سورة النساء :

« يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ٠ فأما الذين آمنوا واعتصموا به فسيدخلهم ربهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما »

وفى سورة المائدة الكريمة :

« قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ، خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم »

أيها السادة :

ذاك نمط من آيات القرآن العظيم التى كانت تستوقفنى طويلا لأتأملها وأنعم بما فيها من عظات بينات واشارات بالغات تشير الى سمات ذلك النوع العالى من عباد الله المؤمنين المخلصين ٠ وليس ما جئت به هو كل ما يحويه الكتاب الكريم من هذا النمط الرائع من صفات أولئك الممتازين من عباده ٠٠ ان هنالك لكنوزا تعز عن النظير وتزرى بكل ما عرف البيان من نفائس ٠ وحسبنا أن قدمنا هنا نمطا يحتذى وطريقا يتبع ٠ والله نسأل أن يلهمنا الصواب ويمنحنا خير المبدأ والمآب ٠ وصلاة وسلاما على سيدنا محمد خاتم المرسلين وامام المتقين ٠ وصاحب الرسالة الخالدة الى يوم الدين ٠

أبو بكر ذكرى

هدية مع هـذا العدد

أطلب من البائع نسختك من كتاب « التصوف الاسلامى ٠ رسالته ومبادؤه » انه هدية من مشيخة الطرق الصوفية لقراء مجلة الاسلام والتصوف « ٨٠ صفحة مجانا » ٠

اقرأه واحرص عليه ٠ وقدمه الى من تحب